المجاني

مصرع السمنة

عبد الله قبرصي

دار النهضة للطباعة والنشر

A.U.B. LIBRARY

American University of Beirut
University Libraries

Donated by
Dr. Samir Saleeby

S.I.U.E. LIBRARY

المجاني

CA
892.78
Q335maA

مصرع السمنة

●

عبد الله قبرصي

مطابع صادر ريحاني ، بيروت - تلفون ٦٢- ٦٨

دار النهضة

طباعة ونشر

◆

المدير العام : مأمون اياس

الادارة المالية : ناجي مصباح اللادقي

الادارة الداخلية : نديم المقدسي

المجاني

اول ثمرات دار النهضة

سلسلة كتب تصدر في منتصف كل شهر

السنة الاولى

١٩٤٤

الكتاب ١	حول الموقد	مأمون اياس
« ٢	معابد الريف	أسد الاشقر
« ٣	مصرع السنّة	عبد الله قبرصي

المقدمة

نحن في شهر اغسطس ،
وفي ديار الغربة ،
ودنيا الذكريات ،
وقد انفردت في زاوية ،
استعرض ماضيّ القريب ،
يوم كنت متشرداً في القويطع ،
أمضي لياليّ الداجية والقمراء ،
في ظلال زيتونة ،
او تحت حفة من الحفافي العالية ،
أتقي ندى الليل ونسماته الباردة ،
وأمضي نهاري الطويل ،
في مطاردة الطيور ،
واحبها الي السمنه ،
وتجري بيني وبينها معارك حامية ،
تارة لها النصر وتارة لي ،
وكثيراً ما نتحدث ونتناقش ،
وهل أجملُ من ان ننطق الطيور ،

تحدثنا ونحدثها ،
في وحشة الطبيعة الساكنة ؛
وفي ساعات الشوق الطويلة ...

أستعرض تلك الذكريات ،
بألم ولذة ،
وتعود الى نفسي ساعات الصيد ،
واتأمل العالم من حولي ،
واغرق في التأملات ،
واغفل عما يحيط بي ؛
وأنسى وجودي ،
واسرع الى قلمي :
فاذا مصرع السمّنة ! ...

مصرع السمّنة ! ...
أرض القويطع - والكورة البيضاء ،
الارض التي كانت لي اماً رؤوما ،
واباً حنوناً ،
واخواناً واخوات انيسات ، مخلصات ،
فحملتني تخفيني بين جوانحها ؛
وتحرسني بقلوبها واعينها ،
وتمد لي ايديها اللطيفة الكريمة ،
وتغدق علي افضالها ،
وتتحمل من أجلي ما تتحمل ،
وتسكت عن البوح بأسمي ،

كأني قطعة من اكبادها ،
وابن من ابنائها ،
هذه هي الارض التي ناجيتها في كتابي ،
وهذه هي الارض التي سأظل مديوناً لها
ما حييت ،
أني لن أنس وادياً من وديانها ،
ولا بلانة من بلانها ،
ولا عيناً من عيونها ،
وسأظل أحيا في ظلال زيتونها ،
و في ظلال حفافيها ،
وسيظل ليلها الهادىء الناعم ،
يغلب أي ليل من لياليَّ الباهرة ،
واني اذ صورتها صورة صغيرة ، سريعة ،
في مصرع سنتي ،
أفي بعض دينها علي ،
بل انشر شيئاً من خواطري ،
وشعوري ،
على قرائي من الناس ،
ليعرفوا معي ،
ويحبوا معي ،
أرض القويطع البيضاء ،
واهل القويطع الطيبين ...!
والسنة ! ....
الطائر الجميل الذي عذبته ، وعذبني ،
وطاردته وطاردني ؛

إنها كانت لي رفيقة وعدوة ،
رفيقة انيسة ، تداعبني واداعبها ،
ثم يستحيل دعابنا الى مهاترة ،
ثم الى عناد ،
والى كر وفر ،
ومن ثم نصبح عدوين ،
كلٌ منا يستعمل حيلته وقوته ،ومواهبه ،
في حرب شاقة ،
اسمها الصيد ، . . . . .
كم انتصرتُ فيها ،
وكم انتصرت السمّنة !

فيا دمَ السمّنة !
انك أوحيت لي ايضاً كتابي ،
اني كلما ذكرتك اخافك ،
لان طبيعتي لا تحب الدماء ،
واني اعتقد اني أجرمت ،
يومَ كنت تسيل على يدي ،
وانا امعن في الذبح ،
غير مشفقٍ ولا رحيم ! . . .

وانت ايها الشاعر ،
يا أخي ،
ايها الصيادُ الذي يصطاده كل الناس ؛
ويصطاد السمّنة !
اني احب فيك ضعفك ،

واحساسك ،
وانسانيتك ،
اني احبك ترحم نفسك ، وتحاسبها ،
وتعاركها ،
واحبك تنتصر عليها ! . . .
واحبها تنتصر عليك ،
لان ما من معركة بينك وبينها ،
سواء كنت غالباً او مغلوبا ،
الا وتنشد فيها قصيدة ،
قصيدة زاهية كالظفر ،
اذا كنت ظافراً ،
وقصيدة باكية ، كالانكسار ،
اذا كنت مغلوبا . . !
رها قد صرعت سمنة ،
وصرعتك السمنة ،
فجاءت قصيدتك ،
بين الشعر والفلسفة ،
وبين النثر والموسيقى ،
قطعة من شعورك ،
وقد توالد فيه الف احساس والف فكر ،
وتكونت الف صورة والف خيال ،
فلم تستطع أن تقبض منها ،
الا على « مصرع السمنة » !

فليكن كتابك تسبيحاً منك ،

الى الذين تحملوا من اجلك الآلام ،
من اهل القويطع – والكورة الحبيبة ،
وندامةً على ذبحك السمينة البريئة ،
وشيئاً من الرحمة وتقديس الحياة ،
في ايام المحنة والذكريات !

بيروت في ٣٠ مايو ١٩٤٤

عبد الله قبرصي
المحامي

صلاة الشاعر

افاق الشاعر من نومه ،
في فمه مرارة وفي قلبه ،
ينقب في صدره الضيق ،
عن حوادث الاحلام في ليلته ،
وقد اختلط الحابل منها بالنابل ،
ويتأمل مرقده العاري في العراء ،
وقد أوى الى زيتونة تقيه الليل ،
وافترش التلاع والاشواك والصراصير ،
ويتأمل عظمة الكون من حوله وبهاءه
فيخاطب الاله المستيقظ في نفسه وفي الكائنات ... !

ماذا صنعت يارب لكي اكون شريدا
مكروهاً من كل شيء ومكروهاً من نفسي ،
ومن اقرب الخلق اليّ ،
وعرائسي واناشيدي ، ونعمك وآلائك ؟ .
اني احب الحياة واحب الناس
واحب الكؤوس المرة المترعة
تقدمها اليّ في كل اوان

واحبك رغم عذابي وهو منك ،
واحبك رغم ما تزرعه من اسرار ،
في طريق فكري وخيالي وادراكي
فقد ادركت لماذا احبك ،
ولماذا اخافك ،
ولكني لم ادرك حتى الان الا انك فيَّ وانا فيك ،
دون ان اعرف من انا ومن انت ... !
واحب كل الاشياء اكثر من نفسي ،
كأنما احب نفسي فيها ،
فلماذا طردتني من جنتك ،
بينما الاشرار ينعمون ،
ولماذا حملتني الى الوجود ،
اذا كنت اردت لي هذا المصير ؟...
أتكون انت العدالة والقانون والقوة ،
واكون احد مخلوقاتك الضعيفة ،
اللينة الساكنة ، الشاعرة ،
وتكون الدنيا لكل الناس ،
الا انا ، فمطرود منها ، حتى ولو كنت منها ،
مطرود كأنما أنا آدم ، ابو الخطيئة الاولى ،
وكأنما كل الناس سواي ابناء الآلهة ،
لا ابناء آدم !

الناس جميعهم يستيقظون ،
وعلى شفة كل منهم حلاوة امسه ،
وحلاوة يومه وغده ،

الفلاحون دنياهم ضاحكة ، وبالهم خال ،
يحملون الضوء الى الحقل ،
والرعاة واجراسهم ؛
تتردد اصداؤها على حفيف الغصون ،
وانسام السحر ،
ومجاوزهم يطربون بها السكينة ،
فتسكر من انغامهم الصخور والاغوار ،
والاعشاب والانوار ،
وكل حي وجماد ،
فتستحيل الطبيعة الى جنيات ،
منبوشات الشعور ،
مغمورات بالسحر والدلال ،
ناعسات الجفون ، كالاحلام ،
يراقصن السنديان والزيتون ،
وكأني بك ، يارب ، تغفو هذا السحر الجميل
على اصدائها البالغة ، اذنيك ،
كاطيب صلاة واطيب بخور ...

الا انا يارب ، انا الشقي ،
بلا مأوى ولا اهل ولا مال ،
ولي حبيبة في عينيها الحنان والايمان ،
وزغا ليل كزغب القطا ،
مشردون ،
اتذوق بهم مرارة فوق مرارة ،

كانما خلقتهم علي احمالا ثقالا ،
انت الذي تخلقهم للناس يحملون عنهم الاثقال ،
اخلقت لي يارب الف قلب ،
لتخلق الف جهنم !...

هذا سحرٌ من اسحاري المقطبة الحاجبين ،
— وليس لي سحر ضاحك —
رغم تباشير الصباح واشراق اليقظة ، ..
لقد نمت خائفاً مذعوراً ،
وافيق خائفاً مذعوراً ،
أترى الاشجار والحقافي ،
اعينٌ تترصدني ،
او ان هذه الاصوات البعيدة ،
التي ينقبض لها كياني ،
اصوات الساعين ورائي ،
يحملون الي اخبار السوء ،
والقدر المحتوم ...

لم تترك لي يارب حتى العافية ،
هذه القدرة على الاحتمال ،
وعلى الشعور باللذة ،
ولم تترك لي اي سلاح آخر ،
سوى انك خلقتني شاعراً ،
بل انك اخذت مني آخر سلاح لي ،
يوم خلقتني شاعراً ،

كأنما تقول للشاعر يوم يولد ،
لقد اعطيتك الشعر واخذت منك كل شيء !.
انا الشريد وحدي ، وليس لي الا العراء ،
ملكاً وعزاء ،
والطبيعة الرحبة ،
اماً وخدينة وموئلا ،
فها انا منحدر اليها ،
أسرح في رحابها متنقلاً ذاهلاً ،
وهذا الجفت والجعبة رفيقاي
يحويان وسائل القتل اخذاً وعطاء ،
فانا الشريد الطريد ،
انا الشاعر ،
اعرف ان كون مجرماً
لاني احسن ان أكون حيوانا
لانك هكذا خلقتني ،
كما تخلق بعض اللبن في الصخرة الصماء
اذ تقدم نفسها للجناة !

الطبيعة

وانحدر الشاعر الى الوادي من هضبات القاطع البيضاء ،
في ذاك السحر من شهر تشرين ،
في موسم السُنُن ، في طلائع الموسم ،
وكان قد الف الاعين والف الوجوه .
وفي الناس خير وشر .
واما سكان القاطع فخيرٌ لا شرَ فيه ،
فالفلاح يرمقه بعين المحبة والحنان ،
وينتهر فدانه ويوقف المحراث ،
ويلمع العرق على جبينه الناهض الى العلاء ،
ويناديه والمروءة في نبراته ،
والمحبة والايناس ،
يناديه في الاسماء المستعارة ،
لان الشاعر المسكين ، فقد في ما فقد ،
حلاوة الاستماع الى اسمه ...

والرعاة صيادو رؤوس الماعز ،
بالحجارة الرصاصية ،

يرسلونها تواً الى الهدف
كأنها تنطلق من فوهة مدفع !
كم من مرة كاد ان يذهب ضحية بينهم وبين المخبأ ،
وكم جزعوا عليه ،
وهم يعتقدون انه رسول تحرير الوطن
فينقذهم من شوك الحقل ،
وشظف العيش وثغاء الماعز ،
وفاتح ابواب المدينة لاحلامهم الزهراء ،
وهو يتمنى لو كان مثلهم راعياً ،
لان تحرير الوطن ،
رسالة شاقة ،
ينوء بها قلب الشاعر ... واله الشعراء !
ان تحرير الوطن امانة في يد الجندي ،
في يد الرجل الذي يحسن فن الجهاد ،
وهل كان الشاعر جندياً ؟
وهل يتقن الشاعر فنّ الجهاد !
الا اذا دفعته مثله العليا الى النضال ،
وعندئذ يجوز ان يسميه الناس او يسمي نفسه :
شاعراً مناضلاً ! ...

وفي الحقل والواد والرابية ،
زرافات الصبايا ،
تفوح الطهارة من جوّهن واخفر ،
يحرقن البخور للشاعر الهارب ،
ويحملن اليه الزاد والزهور والسلوى ،

فيعبق جوه بالنرجس والزنبق ، والمنثور
وتبتل روحه بندى العذارى ،
حاملات العفة والطيب
لهذا المخلوق الشريد من اجل الحق ،
فتأخذه نشوة الاستكبار والخيلاء ،
ويشعر فترة بنعمة الحياة عليه ،
ويبارك آلامه ومرائره ،
لان هذه الايدي المباركة وهذه القلوب ،
تجلو عن آفاقه الغيوم ،
وتروي بعض عطشه الى المجد ،

هؤلاء هم الناس ولم قدح الشعراء بهم وذموا ،
هؤلاء هم عناصر الخير والانسانية والرحمة ،
في كل كلمة تخرج من افواههم ،
قصيدة عصماء ،
وفي كل عمل من اعمالهم الخيرة السخية ،
حكمة وشعر وفلسفة .
وان الشاعر نفسه ،
هذا الشاعر المجاهد من اجل بلاده ،
وحقها بالحياة والسيادة ،
ليقصر عنهم أي قصور ،
لان الارض اعتقتهم من القيود ،
والشمس غسلتهم من الادران ،
ويأكلون لقمتهم مغموسة بدم القلب ،
لا بالكذب والرياء ، ....

أليس من العجب العجاب ،
والشاعر هذا في احضان المحبة والحنان ،
وفي نعمة الدماثة والمروءة ،
وتظل في يديه آلة الموت ،
وبينما القلوب حصون تقيه العثار ،
يظل منحدراً ، وهو المستعبد للحق والجمال ،
وابن التصوف ،
منحدراً يضرب في كل سهل وتل ،
وقد جدَّ به العطش الى الذبح ،
وقد صمَّمَ الا يرتوي الا دماً ،
دم الطائر البريء ،
دم السمنة الجميلة ...

انه يريد لحمها غذاء ،
بل يريد ان يشبع عينيه من تخبطها بدمها الفاتر ،
وانه يسلخ ريشها المنمَّق ،
وان تكون طعامه الدسم ،
كأن لا تكفيه خيرات البرية الوسيعة ،
ولا تقدمات الصبايا ،
وبيوت ابناء الطبيعة البررة ،
بل كأن به داء لا يشفيه الا لحم الطير ، كل ذكاء ،
بل كأن غرزاه نفذت من وراء كل عقل
وكل احساس بالرحمة ،
لتجيب على كتاب الطبيعة المرسل اليها ،
في مداده الضيافة والمحبة والجمال ،

بكتاب مداده دم سكانها الابرياء ،
سكانها الطيبين ،
دم السمنة ! ....
السمنة الآتية من الابعاد ،
تطلب في ارضنا ملجأ ،
وفي بردنا مكاناً للحياة ،
وفي زيتوننا مطعماً ،
وفي غصوننا مخابىء ،
وفي هضابنا مسارح ،
وفي قلوبنا كرم المضيف
— وهو تراثنا المشرف —
الذي نعرف به ويعرفُ عنا ،
السمنة ذات الريش الاملس ،
والجانحين كأنما احترقا نصف احتراق ،
والعنق المزركش ،
والذنب الصغير الناعم ،
والمنقار الذي يتقن قتل الشر وزرع الخير ،
المنقار الذي لا يقوى على يد الذباح ،
ويقوى على الحشرة السامة ...
هذا الطائر من طيور الحياة ،
الذي يزين الارض ،
كما ترصع النجوم السماء .
كل لوحة من الواح الوجود ،
ناقصة بدونه ،
وثوب الطبيعة الفائق الجمال ،

لم يكن جميلًا لولاه ...!

السُمْنة ... الطائر الذي لا يغني ،
لئلاً يزعج السكينة بغنائه ،
الطائر الذي لا يغزو الا الحشرات ،
وبعض حبات الزيتون .
الطائر الذي لا ضرر منه ولا فيه ،
طائر الخير والدهاء والقوة ،
وفوق هذا طائر الجمال ،
كأنما هو في الطبيعة ، زهرةٌ لا تتحرك ،
زهرة جميلة على ثوب جميل ..!

السُمْنة ! من رآها تتنقَّل ؟
انها لتعدو كما تعدو موجة الى الشاطىء ،
وتسير كأنها نشيد حماسي يعزف ،
تكاد لا تلحقها العين ،
كثيراً ما تسرع ، تجرر الزهو والخيلاء ،
انها تأسرُك اذ تترقبها ،
انك لتحبها كأنها قطعة من نفسك تدب على الارض ،
بل كأنها طفل في الثاني ، يدرج مسرعاً ،
وراء الكآبة !

السُمْنه ! من رآها تختبىء ؟
انها تنتقي المكان الذي يرى ولا يُرى ،
والغصن الذي تستطيع الالتصاق به كأنما تصبح

واياه جسداً واحدا ،
او غصناً واحدا ! ...
لا يمكنك معرفة مقرها حتى تلمسها بيديك ،
او تسدَّ عليهـا كل المنافذ ، فلا يكون مقامها مختارا ،
انها الطائر الحذر ، الذكيُّ ، العجيب !

من رآها تفر ؟
كأن كلمة « فرَّ » مشتقة من فرارها !
تنطلق مثل العيار الناري ،
تخيفك على نعومتها ، اذا كنت لست من اصدقائها ،
وتحسُّ كأن بين جناحيها ، قوَّة الاسد ،
وكأن اعصابها من فولاذ ،
انها لا تحسب للَّعب حسابا ،
ولا يهمها بعد المزار ! ...
وهي الى هذا كله ، ام الدهاء واخت الحكمة وبنت الحذر ،
فاذا طاب لها آنستك ،
والاَّ فهي تلعب برأسك ،
كما يلعب به البلهوان !
فاذا فرَّت في اتجاه وتبعتها اليه ،
انقلبت الى اتجاه آخر ،
فآخر ،
واذا حطت على شجرة ، وتبعتها ،
تغلغلت من شجرة الى أخرى ،
الى غيرها !
تفلت من نظرك ،

دون ان يدور في خلدك انها تفلت ،
بسرعة البرق الخاطف ،...
السمنة !... لا حيوية لطائر كحيويتها .
فهي الطائر الذي ينام مستيقظاً ،
الطائر الذي يقرأ فكرك قبل ان يراك ،
الطائر الذي يكمن لك بل يتحداك ،
الطائر الحاد الذهن ، الحار الدم ،
الذي يعيش في صدره بركان !
الذي لا يستطيع ان يحمل حرارة خارجية ،
فوق حرارة كيانه ،
كأنما تحترك كل غريزة فيه احتراكاً دائماً ،
وتختلج الحياة فيه اختلاجاً فيه سرمديا !..

السمنة ... سمنة الاسراب التي تحب الندى اكثر من النور ،
التي تحب العشيات والاسحار والظلال ،
وتهوى الثلج تقيم عليه الاعراس والافراح ،
وتنامُ في قلب البلانة كأنما تنام على الحرير ،
سمنة الوادي والاحلام والسكون ،
ذاك هو الطائر الذي يتقصده الشاعر الهارب ،
شاعر المحبة والاحساس .
ليكون لقابليته مأدبةً وعيداً ،
ويباهي به الاقران ،
ويشرب الكأس ثملاً بانتصاره عليه ،
كأنما الانسان الذي يدعي الاحساس ،
انسان مريض ،

اذا استوى ضعفهُ على طائر ضعيف ،
يجب ان يقول ذلك للناس ويعلنه
كي لا يعتقد الناس انه ... ضعيف !

وراح الشاعر .... الصياد ،
راح يتستر بالغواية ،
متمهلًا لا يحس التراب ،
ولا ورق الخريف المبلل بالندى ،
كأنما يرصد حتى انفاسه ...
راح وآلة الموت على يمينه
محشوة بالموت الاسود والاحمر ،
بالموت من كل الالوان ، ...
راح لا يلوي على شيء ، ولا يلوي على نفسه ،
لا بدائع الفجر والخضرة والفضاء ،
ولا بلاياه ،
ولا غوائره ،
ولا عقائده ،
ولا قلبه ،
لتغري بصره او تستفز بصيرته ،
يتتبع آثار الطائر القادم من الابعاد ،
يتبع آثاره في كل مكان وفي كل متزلق ،
لقد خفق قلبه خفوق المستغيث ،
وتراخت رجلاه امام المسافات ،
وتصبب العرق تصبباً من جسده .
وكم قطع متزلقاً لا يتقي العثور

لاحقاً فريسة ،
كما يلحق الذئب الشاة
وآلة الموت عطشى الى الانطلاق
ولو على الفراغ ! ...

الصيد رياضة وملهاة ،
وشوكه محبب الى القدمين
وعرقه عافية على الجباه ،
وورد في الوجنتين ،
على ان لا يكون مسرحاً لتربيـة القلب على القساوة ،

حبذا لو كان الشاعر يصطاد النبات ،
يشق قلب الارض يستطلع اسراره ،
اسراره في الهندباء ،
اسراره في الكعلول ،
اسراره الى كل زهرة تشم ،
ونبتة تؤكل ،
ليصبح اذ ذاك نزهة الصدر المغلق التعبان ،
يحس فيه الانطلاق الرحب في الدنيا الرحبة ،
ويجني منه نسَم الراحة والانشراح ،
وينشق فيه عبير امنا الارض ،
امنا الكريمة السخية ،
امنا الجميلة ،
التي لا تشيخ ،
ولا تقسو ، ولا تعتب ،

ولا تعبس ....!

الزيتونة

مضى الشاعر في سبيله ،
لاتداني ذهنه فكرة من افكار الخير ،
فبلغ ظل زيتونة قديمة ، عجوز ،
فحدثته الزيتونة حديثاً مغرياً :
تعالَ الى ظلي ، انه مأوى الطريد ،
لماذا الجهد ، والعثرات ، والاشواك ،
ها قد بدأت الشمس تلذع بحرارتها وجهك ،
والافاعي في تشرين لم ترقد بعد رقادها الطويل ،
فقد تلسعك فتموت مسموماً ،
اما ظلي ، ففسحة منعشة ،
واغصان تتوشوش ،
وبعض العصافير تتناجى في مثل الهمسات ،
وشيء يدعو الى الغفلة والتأمل والاستيحاء ،
وانا احدثك عن ايام خاليات ،
فقد رأيت الاجيال تتعاقب ،
والوجوه تمر ،
وانا لا ازال هنا ،
أعطي من قلبي الى الناس ،
والناس لا يعطونني شيئاً !
وها انا اقدم اليك ظلالي ،
بعد ان قدمت الى غيرك حبات قلبي .

وسوف اقدم اغصاني لتدفئة ايامكم الباردة ،
فلماذا لا تستريح فنتناجى ،
انا اجد فيك رائحة الانس ،
وانت تجد بي الرفيق الصامت الخيّر ،
وكلانا خلق واحدنا مكملاً للآخر ،
لان الطبيعة لم تخلق كائناً دون رسالة ،
او دون غاية ،
لانها أم الحكمة ! ...
ترى أأقتل انا احداً لاحيا ،
بل جعلت ملهاتي في الاحلام والاصغاء ،
وفي اعطاء ثماري في سخاء الواهب المغداق ،
وفوق ما اعطي الناس ، اعطيك ظلالي ،
واعطيك سريراً من الارض الملساء ،
والنبع القريب يروي عطشك .
وسوف يحمل اليك الصبايا الزاد والعطور ،
فاجعل هنا مقامك وطب نفسا ،
واذا كان لك صوت جميل
فغنَ به !
واذا كان لك قيثار فاعزف ،
واذا كان لك خيالٌ ، فانطلق ،
او احساسٌ ،
فاشعُر !
أشعر بكل شيء يدعوك الى وجدانك ،
الى الاستمتاع بهذا الكون البتول ،
الكون الذي لم تدهشه قدما شاعر مثلك ،

ولا غناه احد قصائد واناشيد ،
فتمتع به الدنيا ،
واستمتع به انت ،
لان ما من احدٍ يعطي الا ويأخذ ،
لان العطـاء نفسه اخذا !
الى أين تترامي منهوكاً ، حاقداً ، مشفقا؟
كأنك تسعى وراء حبيبة تخاف اغتصابها من عدوك ؟
بل كأنك في سباق الى كنزٍ يكاد يفلت من يدك ؟
او كأن العالم باجمعه هناك حيث تقصد ،
وكأن كل مـا ليس في قصدك لا قيمة له ولا ثمن ؟
الى اين المسير ، ايها الشاعر ؟
تعال استرح ... !
القِ هذا السلاح عن زندك ؛
والق رأسك الى وسائدي ، ونم .. !
اني احسُّ شوقك الى النوم العميق .
أفي غير هذه الظلال يطيب لك مقام ؟
وهل تجد في الدنيـا مكاناً ادعى الى الاطمئنان ،
بعيداً عن اعين الناس ،
وانا الحارس عليك والرقيب ،
وغصوني وأترابي ،
عيون عليك وقلوب ؟

لقد استوقفت الزيتونة خطاه ،
ولكنها لم تستوقف طمعه ،
ولا شوقه ،

فمضى بعد ان القى على الزيتونة نظراً مارقا،
يقول لنفسه : انها عجوز شمطاء ،
تظن الحكمة في الثرثرة ،
وهي لو تدري ، لاعترفت بعجزها .
اترى لو كان لها قدمان لما سارت ،
الى حيث اسير ؟

ومضى الشاعر وقد دار في كل صوب عيونا،
يحدق تحديق المنتظر وقد اطل عليه المنتظر،
ليستبين حقيقته .
يحدق بكل عصفور ،
حتى يرى في «ابي الحن» سمنة اذا احترك ،
وبالباشق اذا حطّ على الارض سمنة ،
وقد يخيل اليه ان الغراب طريدته ،
ويخيل اليه ان مكاناً يابساً من الشجر عصفور .
يحدق حتى يصاب بالزيغان ،
ويحدق حتى يكاد بصره يحسب الاحجار طيورا !
فيبلغ غيضة ، فيها الاشجار العارية ،
وقد اكتست ارضها بالخضرة والازهار ،
وهنالك عند المعبر عليقة يفوح من قلبها عبير شذيّ !
والسكون لا يزال مخيما على الحقول ،
والكون يكاد يستحيل الى لغات وانغام؛
فتحترك العليقة وتناديه ،
تناديه لشذاها ،
تقول له : يا هذا الى اين ؟

أفي الارض كلها فردوس اجمل من فردوسنا؟
انظر : ان التراب نشر احساسه زهرا،
ونشرت انا في الناس عطرا ،
وقد باح الحقل بمكنون قلبه اخضراراً واخضلالا .
فحيث تقع عينك تقع على الجمال الفاتن ،
وحيث تقع رجلك تقع على الرطوبة والطراوة،
وحيث تسند رأسك ، تجد موسيقي الحياة المتكلمة ،
المعبرة عن ذاتها ،
فكأن للزهور انغاماً وآذانا ،
انغاماً ترددها في مسمعك ،
وتطلب اليك ان تردد انغامك في مسامعها .
الا ترى الدنيا من حولك عاشقة ،
وانت معشوقها ،
الا تستهويك هذه الوحدة آهة لوحيك ،
ومرمى لخيالك ،
وبشرى بجوارحك بالامان والسلام والاغفاء؟
الى اين المسير ، ايها الشاعر ،
اطرح عن ذراعك آلة الموت ،
وتعال استرح ، وتنشق ، واستسلم !
ان العبير يناديك ،
فهل ترد نداء العبير خائبا ؟
أي الامرين أفضل ، ان تقتل او تستريح؟
لاتقتل ...

في طريق الجريمة

سك . سك . سك .
هذا صوت السمنة الحسناء
تدل على نفسها وعلى اترابها ،
تدل على نفسها كأنها تتحدى الصياد ؛
معتدة بفطنتها ووعيها ،
لانها تعرف صديقها من عدوها .
انها تعرف ان هذا المنهل ،
الذي تدعوه الزيتونة
ويدعوه الورد والربيع
فلا يلبي لها دعوة ،
ويسير يسترق الخطى استراقاً ،
وعيناه عيون وارصاد ،
انما يقصد بها شراً ،
بينما تأتنس باحراس الراعي والحانه ،
فتراها تصغي وهي تنقد الارض بمنقارها
كأنها تحلم احلاماً عذابا ...
هذه السمنة اللطيفة ،

عروس الشتاء في ارضنا المضياف ،
العروس الذكية النابهة ،
التي تعرف اكثر منا نحن الادعياء
عدوها من صديقها ....

سك . سك . سك .
ان لكل مخلوق ضعفه وقوته ،
وكل مخلوق يسعى الى حتفه بظلفه .
فان « السكة » هنا هي الصفارة التي تدعو النار ،
والشبكة التي ترميها السمنة لنفسها
والفخ الذي تنصبه لجناحيها .
فالصياد متى سكت التقطها بأذنيه ،
ثم بعينيه ....
ثم ...... !
انها دنيا صيادنا الشاعر تقمصت كلها في السمنة !
فقد ضيق التعب عليه الخناق ،
ولكنه لا يستريح ،
فقد اصبحت القضية بينه وبين الطائر كالمدافع عن نفسه .
قضية معقدة !
قضية رجل يثأر لتعبه وطمعه ،
قضية عدو منتقم — والطريدة غاية انتقامه .. !
لقد تحول الشاعر الصياد الى جلاد ،
لقد دبت شهوة الدم في احشائه ،
شهوة الثأر النارية ،
التي تحول الانسان الى عدو نفسه ،

وعدو كل شيء ، .....
أجل ! ..
ان النفس ، حتى نفس الشاعر ،
وفي رياضة بدنية كالصيد ،
تتطور في غضبها ، ويأسها ، وتعبها ،
وفي فرار السنّة من امام نيرانه ،
الى نفس مجرمة ،
كأنما خلقت مجرمة ...
انه يريد من طريدته أن تنكشف لعينيه ،
وان تقبع في مكانها عند التقائه ،
وان تسهل من طريقه الشوك والصخور
وان تقول له : انا غايتك !
مد يديك اليّ فاني لن احترك !
اني خلقت من اجل رضاك ،
فكل هنائي ان اكون لك طعاماً ،
وان ابذل دمي في ولائك ...
ولانها تدافع عن نفسها ،
فتختفي ، وتفر ، وتحتال على بصره ،
يحقد عليها حقداً ضارياً ،
ويصبح لها عدواً شريراً ، منتقماً ،
ويصبح الصيد ، تلك الملهاة للروح والجسد
شهوة ملحدة ثائرة ، ملحفة بحاجة ،
للقتل ....
لقتل السنّة التي تشبه في وداعتها الحمامة
ويثير مرآها الشوق الى تقبيلها ،

والى حمايتها من لمس النسيم ،

وتجهد الطبيعة نفسها خلاص الطريدة ،
من نار الشاعر ،
والشاعر يزداد سخطاً وعنادا ،
مثل المجرم الذي صمم على ارتكاب الجريمة ،
تصميماً قاتلاً ،
فاذا لم يقتل عدوه ،
قتل نفسه .....!
لقد اصبح الشاعر عقرباً ،
تنفث حمتها في قلبها ،
متى بلغ غيظها قمته ،
ولم تبلغ من عدوها اربا ....
والطبيعة ، بالرغم من كل شيء تثق بابنائها
والشاعر اقلهم عقوقا ،
فتضع بينه وبين طريدته العراقيل ،
فقد اصبح الحجر الذي تعثر به رجله ،
والعود الذي يخدش جبينه ،
والشوكة تدمي قدمه ،
والعرق يتصبب من ارادته ،
واصبح ضميره وضمير الكون ،
وعقله وعقل الطبيعة ،
وغرائزه وغرائزها ،
في حديث عصي ، اخذاً وردا ،
لصيانة الطائر البري ،

لقد أدمت شوكة رجل الصياد ،
فجرى دمه قانيا ،
واستوقفه جرحه وخدوشه ،
فأوى الى ظل يضمدها .
وكأنه بالدمل يستحيل الى واعظ وخطيب ،
يقول الشاعر :
انك تحسب لنفسك من دمك الف حساب ،
وتحبسه لئلا تقع منه نقطة على التراب ،
فلماذا تريده يجري نجيعاً من قلب الطائر ؟
أدمك دمٌ ودم السمُنة ماء ؟
ايؤلمك سيل دمك ،
ولا تتألم السمُنة من سيل دمها ؟
أي فرق بين حياتك وحياتها ،
واحساسك واحساسها ؟
ان الشوكة التي وخزت قدميك ، ....
قصدت ضميرك لا رجلك ،
والدم يسيل من جرحك ،
يود لو يكون احساسك الجريح ،
لعلك تشعر اخيراً انك انت شوكة تفتش عن فريسة
ويدفعك ألمك الى ان تقتل الشوكة في ذاتك ،
فلا يبقى منك الا الورد والريحان ....
ان الشوكة لم تنبت الا لتدميك ،
انها ادت رسالتها وغداً تصبح عودا ،
وترسل الى النار ،
انها استوقفتك برهة لتعود الى نفسك ،

وافزعتك برأى دمك يقطر حاميا ،
لكي تدخل الرأفة الى قلبك ،
ان دمك يناديك :
لا تقتل ... !
لقد كان حديث دم الصياد على ما فيه من حق ،
وعلى ما فيه من قوة ،
كأنه ما كان ....
فقد حمل الصياد جراحه وانطلق ،
كأن البحة التي موت ،
كانت فترة استراحة ،
لا فترة تأمل ....
واخيراً ادركها ،
ادركها وهي في حب مقام ،
هو على « طريق العين » « وهي في العربة الحمراء »
هو في مرتفع وهي في منخفض ،
هو ينهب الفضاء بانظاره ،
وهي مستكنة ،
تدور ذات اليمين وذات الشمال ، كي تنقد الارض في مرح ودلال ،
فصوّب اليها السلاح .
وصوّب فيه كل ايمانه بسقوطها
وكل ما يشعر به الوحش تجاه الثأر ،
ولم يخطر بباله خاطر الاشفاق ،
ولم يشعر انه لا يزال انسانا ،
هذا الشاعر الشهيد ،
اصبح الان ارادة لا ترد مصوبة نحو الضحية ،

اما عيناه ....

العينان المسحورتان بالطريدة الحالمة ،

تقضمانها سلفاً ؛

فقد حدقتا تحديقاً جامداً بالطائر ،

وامتد بينهما وبينها خط لا تعاريج فيه ،

ويده الشمال استقامت تحت السلاح لا تهتز ،

واليمنى على الزناد تنتظر الاوامر ،

تصدرها العين الجامدة ،

والحذر .... !

الحذر وقد اصبح في الريح ،

واتسع يشمل المنطقة وقد تمناها الصياد حراما ،

لا تدوسها قدم في تلك اللحظات ،

ولا يمر فيها حيوان او انسان ،

او يهتز فيها غصن على شجر ،

اما القلب فقد عصا وحده وخفق .

خفق تحت ضغط الاعصاب ،

وقد تشنجت في فكره الاصابة ،

وكأن كل شيء ينصب على الطائر الآمن ....

والصياد لا يختلج ولا يتنفس ،

ويده تهم بالضغط على الزناد ، وترتد .

الى ان كاد ينفد صبره ،

ويطلق النار في غير هدى ، ...

فوقفت السمنة اخيراً تعالج نباتاً .

فاذا باليد تضغط بسرعة البرق ،

وعينا الشاعر تنطبقان !

والنار تخرج في دخان اسود ،
واذناه كأن فيهما نهراً يجري هادرا ،
وقدماه تسرعان عدواً الى مكان السنّة ،
فيهوي عليها أخيراً ....
ولكن ..... ياللاسف !
فان الشاعر اخطأ المرمى ،
والنار لم تنل من السنّة مقتلا ،
فاذا بعض الغبار من الريش يتطاير ،
ونجت السنّة !
ونجا كل السنّن في تلك الدائرة الوسيعة ،
فقد نفّره الطلق الداوي ....
والصياد يكاد يختنق حنقاً ...
فان الخيبة تسبقه الى كل غابة ،
والقدر — على ما يزعم — عدوه في كل شيء ،
حتى في الرماية ،
انه عليه مع السنّة !
فالقدر غاشم ،
وكل شيء في الوجود يستحق اللعنة .
لان السنّة لم تقع في قبضته ،
فقد كان على ناوه ان لا تخطئها ،
وكان على السنّة ان تحمل البارود الى صدرها ،
ليكون الشاعر
— سيد الخليقة ، والمخلوقات ،
وإمام الاحساس والخيال —
راضياً عن القدر وراضياً عن نفسه ! ...

وانتقل من تلك المنطقة في اتجاه الوديان .
هنالك مأوى السنة الاخير ،
فلا بد من الظفر ....
ويزداد الناس شراً كلما انقذوا من الشر .
وعوضاً عن توبة ورجوع الى الحق ،
تزيده الخيبة حقداً ،
وتزيده عنادا ،
وتزيده همة ونشاطا ،
لانه ما شيء ومثير للاعصاب ،
مقوٍ لكل عضو من اعضاء الناس ،
مثل الغضب والحقد .
ان الضعيف الحاقد يعتقد نفسه بطلا ،
والشاعر الصياد الخائب
يستحيل الى عداء ،
فاذا به مهرولٌ الى غايته ،
لا يسمع ولا يعي ...
لله كم تثيرنا الخيبة اذا كنا ضعافا
ونحن نعتقد انفسنا اقوياء ! ....
وكم نطلب الفلاح ،
عن طريق القتل والحقد والحسد ،
وهو ، لو ندري ،
في كل شيء ،
الا فيها ! ....

وتوارى الشاعر عن مكان اخفاقه ،

وعاد الكون الى الصمت العميق،
وعاد التعب يدعوه الى الظلال ،
فجلس يستريح ....
واذا بجمال الدنيا يجد سبيلا الى نفسه ،
فيقبل ان ينسى الشرّ ، او يتناساه ،
اذ يسمع ، آتياً من وراء التلة ،
—من الرابية المطلة على « وادي الحمام »
صوت « أنيسة »....—
ان أنيسة ، الصبية الجميلة ،
ابنة القرية الطيبة ،
ابنة الزهور والحقول ،
ابنة القوم الخيرين المخلصين
والناس الكرماء،
تنشد انشودة وطنية :
....« ان أمت في سبيل بلادي » ...

اسمع ، يا شاعر ، ياصياد !
اسمع هذه الامواج ! ....
ان النسمات تتهاداها كل واحدة الى اختها ،
فيحملها الى اذنيك، والى امانيك .
ما اعذب الصوت الجميل ،
من فم جميل ،
وفي مكان جميل ،
يخلع على تلك الارض الخضراء،
انغاماً خضراء ،

انغام الصبية ، تفتح عينيها للحياة والشباب
وتتربى على حب الوطن ،
وتربي صوتها على اناشيد البطولة ،
والموت في سبيل الامة ....
ايطيب لك ايها الصياد ،
مشهد ابدع من هذا المشهد !
لقد اكتمل الفن فيه والحياة ،
فربيع وصبا ونغم شجي ؛
يناجي وطنيتك وانت من اجلها شريد !
فيدفع خيالك الى حيث يموت الاحرار ،
في سبيل الحق ،
ويستشهدون ،
لدفع العدوان ،
عن ارض الجدود ! ..
على اروع ملحمة ترددها الاجيال
على مسمع الاجيال !
ملحمة الشباب الباذل دمه ،
في ساحات المجد والشرف ! ....
ان « أنيسة » تنشد انشودتها ،
فكأن روحك تنشدها ،
وكأن كل جارحة من جوارحك
تهتف بها ولها ...
بل كأن السهل امامك
والمنحني والوديان ،
اضحت مسرحاً لاخيلة جيش الوطن ،

وانت من فرسانه ،
وهو ينشد انشودته الرائعة ،
«ان امت في سبيل بلادي » . . .
يموت الانسان في سبيل المثال الاعلى ،
انه لموت جميل ،
انه لموت واجب ،
لان الحياة لترخص اذا كانت تبذل في سبيل
الفكر والمبدأ والعقيدة
اما انت فانك ساع وراء القتل ،
تريد ان تسحق سمنة !
امن غاية لك في موتها ،
وهل ترى ان هذا الموت جميل ؟
اليس الافضل لك ولها ،
ان تظل مسترخياً ملقى على الاعشاب ،
تنعم برؤيا هذه الوجوه التي تحبها ،
وتهزج في حماسة وقوة :
« ان امت في سبيل بلادي » ؟ . .
« اي مجد بهذا يكون ؟ »

اي شيء احب في الكون من افيسة ،
تلك الحمامة الوادعة الصبور ،
تحمل سلتها وسكينها ،
« تصطاد » الهندباء ،
وهي تغني ،
ثم تغسلها على العين ،

وهي تغني ،
ثم تحملها الى البيت ،
وهي تغني ،
وتطعمها الى اخوتها الصغار ،
بينما امها تجهد نفسها في العمل ،
حفاظاً على كرامتهم جميعاً ، ....
أي فضيلة اثمن من فضيلة العمل بالغناء ،
كأنما يؤدي الانسان واجبه شاكراً الحياة ،
لانها تمكنه من اداء واجبه !
ترى عندما تقتلع انيسة الهندباء من التراب ،
هل يصرخ التراب في وجهها : دعيني ،
كما يصرخ القضاء في وجهك ،
اذ تسدد خطاك نحو الطريدة ،
أن دعها ...
لا تقتل ! ...
بل أي فرق بينك انت محارب الظلم ،
وبين أنيسة الأمية ، المظلومة من الحياة ،
هي لا ضمير يخزها ولا تسمع توبيخاً او تأنيباً ،
فتنعم نعيماً قد لا تدرك شموله ومباهجه ،
وراحته الكبرى .
وتكون انت العالم والشاعر ،
فيناديك كل كيانك وكل ما في الكون
وقد اصبح ضميراً
مؤنباً ، موبخاً ، وازعاً ،
فتلهث راكضاً ، مسرعاً ،

دون ان يستيطع شعورك
ان يحس بنعيم الحياة وجمالها .
وبينا تحيا أنيسة منشدة ، لاهية ،
تحيا انت تعباً ، يائسا ، معذبا ! ...
دع الصيد ،
عُد الى دنيا الشعر ،
خذ القلم ،
واترك السلاح ،
وتلذذ ، دون ان تشوب لذتك شائبة ،
بصوت أنيسة ومرآها ،
وصوّر اصداء هذا الصوت ،
وذلك المنظر ،
في قصيدة من قصائدك الساحرة ،
ان ذلك اجدى لك وانفع للانسانية ! ..
لا تقتل ...

ويعود الشاعر الى نفسه تكرارا ،
والأنشودة الأخاذة لا تزال تهز الوديان ،
كي يعود كل مجرم ، في لحظة من اللحظات ،
الى التردد والتفكير في العواقب ،
وكما ينتشر مستقبل الشرير امام عينيه ، فيخيفه حاضره ،
ويخيفه مستقبله ،
وتخيفه نفسه ، ...
لو كانت السنة خصماً شريرا ،
لو كانت مؤذية ثقيلة ،

لو كانت بومة او غراباً ،
لو كانت من المخلوقات التي لا معنى لها ،
—اذا وجد مخلوق بدون معنى —
لكان موتها وبقاؤها سيان ،
ولكنها جميلة ،
ومفيدة ،
ولها رسالة ومعنى ،
ولم ترتكب اثماً ؛
الا انها تهرب مدافعة عن بقائها ؛
كما يهرب الشاعر مدافعاً عن حريته ؛
وهي اقل قيمة من البقاء !
لقد بدأ الحمل يهبط عن كتفيه ،
وبدأ وجدانه يتسلط على ارادته ،
وبدأ السلاح يعد في الأفياء ،
وقد خف عرقه وبقي الملح من آثاره ،
وكاد ان يرى الدنيا الحلوة الصبية من حوله
وبدأت الغشاوه تزول عن بصائره ،
والوقر ينسحب من اذنيه ،
وهم بان يأخذ كتاباً ويقرأ ..
ويستريح ،
ويريح ،
ويعود انساناً ...
وتبوأ مكانته الاولى ؛
وتناول الكتاب ،
والشمس في الضحى ؛

وقد اشرقت اشراقها الوضاح على التلال ،
كأنها تبتسم ابتسامة عريضة ،
ابتسامة رضاء وابتهاج ...
فقد ربح العالم سُمْنة !...
لان الصياد تحول عن الصيد ،
الى الكتاب ،
الى نفسه ،
الى ضميره ! ...

ولكن الماء العكر لا يصفو لساعته .
ان الصفاء لا يغلب الرواسب الا رويدا ،
فقد بقيت في القاع متحفزة ،
ويخشى ان تهزها موجة مارقه ،
فتنقلب على الصفاء ! ...
وكم تغلب حواسنا دواخلنا ،
اذ نرى او نسمع او نلمس اونشم ،
فتفيق رواسبنا كانها نار تندلع ...

وكان الكتاب الذي في حِعبته كتاب « الأمير » !
كتاب الوصولي الماهر مكيافالي !
كتاب المكر والخداع ،
والقتل في سبيل التسود ،
والغاية تبرر الواسطة .

لقد بدأ الشاعر يقرأ ،

فتنتفخ اوداجه تباعاً ،
ويقرأ هنا كلمة وهناك أخرى ،
وفي كلّ نبأٌ جديد عن جريمة جديدة ،
ورجالٌ يقتلون المحسنين اليهم ،
وعقارب في ثوب الملائكة ،
وشياطين في ثوب القديسين ،
لان الغاية تبرر الواسطة ! ...

لقد حرّكت هذه الكلمة الرواسب في نفس الشاعر ،
لقد هزتها كما تهز حصاة وجه ماء آسن ،
وبدأ التفاعل بين الغرائز وطبيعتنا الضعيفة .
يقول الشاعر لنفسه :
اذا كان بنو الانسان يغدرون بالمحسنين اليهم ،
توصلا لمنصب ،
ويفتكون بالابرياء منهم لاجل شبر من الارض ،
فأي حرج علي وملامة ،
اذا قتلت السنّة !
اني اشعر بلذة اذا قتلت ،
اني اشعر بفرح ان اهدر دم طائر ،
لا رابطة بيني وبينه ،
ولا احساس متبادل ،
ولا صداقة ولا احسان !
واذا اكلت لحمه ودهنه ،
أربح قوة وعافية ؟
أ أخسر العافية والقوة واللذة ،

وهي دعائم الوجود ،
من اجل سمّنة ! ... والسمّنة لا شأن لها في الكون ..
هيا فإن الغاية تبرر الواسطة ! ...

لعن الله مكيافالي !
فقد كان حجراً حرك الرواسب ،
وعاصفة أطلقت الامواج ،
وناراً دبت في غرائز الصياد .
فهبّ لا يتردد ،
وقد تجدد نشاطه ،
يطلب طريدته في غير اشفاق ولا رحمة ،
وعاد سيرته الاولى ،
مستقوياً بآراء « الامير » .
وسار في الحقول ،
— والسمّن لا يزال نادراً —
فرآها مرة أخرى ، تختبيء في غصن غض
وقد هربت في ضجة ، تسك سكتها المعروفة .
فصوب اليها ناره ،
وما فتيء ان رأها تطير الى قاطع آخر ، فتبعها ،
وكأن الفضاء كله تحول به الى كمين ،
فهو يتنفس بقانون ،
وتارة يحدودب ،
وطوراً يدب على بطنه ،
وساعة يتوارى محدقاً ،
الى ان يوهم الطائر المسكين انه ارتحل ، ويحاصره ،

ويصوب اليه النار مطمئناً ،
لا يساوره الا خوفٌ واحد ،
ان يخطىء الرمية ، فيطيش « الخردق » ،
وتفلت السمّنة ! ....
وتنطاق النار ،
فكأنما انطلقت في اذنيه !
فقد احسّ كأن شظاياها ،
بلغت حلقه عن طريق اذنه ،
والدخان ، على غير عادة ،
عبق في وجهه حتى سدّ امام عينيه السبل ،
ومسحت يده اليمنى بالبارود ملتهباً ،
فاحرقتها في مثل البثور ،
واخيراً ... فتح عينيه ،
فاذا باحد زنادي سلاحه قد طار
ولولا ان يكون له نصيب بالبقاء ،
لكان اصطاده ،
وهو يصطاد السمّنة ! ...
لقد نجا من الموت ،
ولكنه لم يحس الخطر ،
ليكون فرحه بالنجاة ،
على قدر خوفه .
الا ان الحادثة اعادته الى صوابه ،
وقبل ان يستمر في نزهته الشريرة ،
تراءى له في منحنى الرابية المواجهة ،
— في « غوما » المطلة على النهر ، —

احد اصدقائه من الفلاحين ،
وهو ينادي بفدانه ،
طوراً يلاطفه ،
وآناً يخاشنه .
فصمم ان يستريح هنالك ،
وان يؤجل صيده ،
فالنهار نهار وساوس وشجون ،
ويأتي الخطر من حيث لا يدري ،
وقد اطلق ناره مرتين ،
والنار لها ثمن ، والتعب له ثمن ،
والمسير في وضح النهار له ثمن ،
فقد تذكر الشاعر انه فارٌ ،
لا يجوز ان يخرج من حرمه ،
وان يتعرض لانظار الوشاة ،
وان يفرط بعرق جبينه ،
من اجل سنّة !
ولذة صيد !

والمجرم متى وضحت امام عينيه مسؤولية جريمته ،
يستخرج من جرمه نفسه ،
اسباب الرجوع عنه او التردد في ارتكابه ،
وهنا يخاف الشاعر ،
ان هو اطلق النار مرة أخرى ،
ان تكون عليه القاضية ،
لا على الطائر ،

فيرتد ،
ويتوب …

ومضى في طريقه الى الفلاح ،
الى الأمان الصامت والمحبة الهادية ،
الى الحكمة الاولى والاخرة ،
حكمة العمل في وجه الشمس ،
الى ابن الطبيعة ، لا صنعة فيه ولا ترويق ،
تنشأ في كرم الحياة ونعمتها ،
لا نعمة المذاهب والعقائد والاديان …
الى رجل الجهاد الحق ،
الجهاد الموروث ابا عن جد ،
والكنز الذي يتركه الآباء للابناء ؛
الى سياج التقاليد القومية في كل وطن وبلاد
والى منبع الخير والقوة .
الى الرجل الذي يشبه الحمل في وداعته .
ولكنّ الخشونة حيث تكون الخشونة والفضائل
الى الرجل الذي لا يعرف الخطيئة ، بمعناها الاجتماعي ،
ولا وخز الضمير .
الى صديق الارض ،
وصديق الناس ،
الى هذه البقية الباقية من المروءة والطهارة
تحت كل سماء !
الى الذي لا يقتل ،
الا الحية اذا همت بلدغه

انه لا يقتل فيها الا الشر
دفاعاً مشروعاً عن نفسه
وعن فدانه !
الى هذا النبع الذي يوزع الخير على الجميع
ولا يوزع عليه احد خيراً .
الى هذا الذي تتجسم فيه كل فلسفة صالحة
وكل شعر رائق ،
الى الانسان الطيب ،
الفاضل ،
قصد الشاعر ... يستريح
من احماله ،
وصلبانه ،
وسلاحه ...
والفلاح الذي يتكلم بسكوته ،
اكثر مما يتكلم بلسانه .
ويعتقد انه الشاعر الصياد ،
الشاعر الحاصل على لقب المجاهد ،
الشاعر الذي ينطق بالشعر موسيقى وبيانا ،
هو اله بثوب انسان .
انه يقدم له الاحترام في شيء من العبادة ،
ويصغي اليه كأنما هو واد والشاعر قمة !..
ها قد أوقف عمله ،
ليصغي الى الصياد ....
والواقع لو ان الصياد لم يكن شاعراً ،
لما خطر له خاطر من خواطره السوداء ،

ولما كانت نزهته توبيخاً ووخزا ،
ولما كانت سنّة خلقت في خياله مأساة .
والفلاح نفسه لم يفكر يوماً ،
ان قتل السنّة جريمة .
وانه يطلق تيارات نفسية عنيفة ،
في وجدان آدمي ! ....
لان الآدمي يقتل أخاه ،
لا تجفل له عين ! ...
ولا ترتجف يد ،
ولا وجدان ! ...
وراح الفلاح بعيداً عن فكر الصياد ،
راح يحدث عن واجب الامة نحوه ،
وواجب الدولة ،
وواحدهما مشتق من الاخر :
نحن نعطي ولا نأخذ ،
نحن نسد حاجات الجميع ،
ولا يسد لنا احد حاجة .
ان الجبل والسهل يمرع من غوس ايدينا ،
ودائماً وابداً نبذر الحياة ،
نبذرها قوية ، جبارة ، نضرة ،
نبذرها ظلّا وارفاً ،
وسهلًا اخضر ،
وجنة جناء ،
واولاداً بين جنبيهم العزم والعافية
والناس اذا حقر احدهم الآخر ،

قال له : فلاح
مع اننا الطبقة الوحيدة التي تعيش في حز النفس ،
وقتل الجسد ،
وغيرنا يعيش بالكذب والتدجيل والنفاق .
نحن مصدر الثروة ،
ولكننا نعيش فقراء .
اما انتم الشعراء المساكين ،
فلستم افضل منّا ،
انكم تحرقون اكبادكم ،
وكل شيء له ثمن ،
الاّ ما تقولون وما تفعلون ! ...
وينتقل الفلاح من فكر الى فكر ،
كي يشاء لسانه ،
الى ان يستوقفه الشاعر :
ما رأيك في الصيد ؟
فيجب :
انه غرامٌ وغواية ورياضة ،
انه لامثالك فترة هناء ،
فقد حلل الله لحم الطير ،
ولحم السمّن دواء للمرض .
وفي اصابة الهدف فرح لا يوصف ،
اني انا كنت في صباي صياداً ماهرا ،
وكنت اصطاد « الجملان »
واكمن للقنفذ ،
واجول البراري وراء السمّن ،

وكم كنت احملُ من دجاج الارض الى القرية ،
تعال احدثك عن دجاج الارض هذا .
فهو غريب عجيب ،
انه من لون الارض ،
يلتصق بها ،
حتى لتدوسه بقدميك فلا يهتز .
ان عدوه الاوحد هو كلب الصيد ،
وقد كان لي كلب ماهر وفي ،
في كل شهر من الارض يطرد دجاجة ،
وهي تفر اتجاه واحد لا تحيد عنه ،
ويكفي ان يحذرك كلبك ،
وان تنطلق الدجاجة ،
فتطلق نارك في اثرها ،
فتصيبها ولو كنت أعمى .
اما انت ابن المدنية ،
وابن الكتاب والقلم ،
فقلّما تستطيع اتقان الصيد ،
فقد تتلعثم يدك ،
او تزل بك القدم ،
اويغمض الخوف عينيك ،
او ....
بينما الطريدة يقظةٌ وذكاء ،
اذا لم تكن أسرع من النسيم في ضربها ،
اقامت بينك وبينها المسافات ،
والدوران ،

فلا تطالها الا بالتحرق والندامة ...
وضحك الفلاح ضحكة رنانة بيضاء ،
لما اعاد النظر الى الشاعر الصيّاد ،
لان الصيد يلبسُه ثوبا مستعارا ،
لا الثوب يليق به ولا بالثوب يليق ،
فكانت آخر كلمة قالها الفلاح :
ياصديقي ،
عد الى القرية ومالك والسمّن ،
ان من ينظم الشعر لا يحسن قدح الزناد ،
فالنار والشعر ،
نقيضان لا يجتمعان !

لقد شرب الشاعر من ماء الفلّاح ،
واحس انه ابن الريف الأبر ،
من طبقة البشر !
التي لم تفكر ان تسن قانوناً ،
بل ان تطبق القانون !
الطبقة التي تجيء الحكمة على لسانها ،
فيقول الناس انها جهالة !
وراح الشاعر يفكر لو ان العالم ينقلب ، ويصبح الفلاح اميراً ،
اذاً لساد العدل وعمّ الرخاء ،
لان الفلسفة والعالم سادا ،
فما ورثت المدنية الا الاضطراب ،
فليت البساطة تسود وتحكم ،
لعلّ المدنية تعود .

تكون في يوم من الايام ،
سلاماً واطمئنانا ! ...

ونسيَ الصياد انه صياد ،
ولما انصرف من لدن الفلاح ،
نسيَ سلاحه
لولا ان تُنبه اليه ،
فقد كان غريقاً في نفسه ،
يفكر في هذا الكون الصاخب ،
وقد ظلم الفلاح ، وظلمه ...

ومضى يبغي العودة الى القرية ،
الى ان بلغ « الشالوق » ،
في اجمل مقرٍ وارطب مكان ،
كأنما مُلِّك « الشالوق » على الحقول والتلال ،
فكانت له خدماً وحشماً ،
يتسلط عليها من عل ، في جمال وجلال ،
اكمله الله بالخضرة والماء والظلال ،
وحسبك فيه ، انك سيدٌ لا مسود ،
وانك على انفراد ، لا يعكر انفرادك معكر !
الا حبذا لو كان للصياد آلة للتصوير ،
او كان مصورا !
فهل تستقيم للوحة مجموعة كهذه المجموعة ،
من صور الطبيعة براً وبحرا ! ،
فالشالوق ، كرم وبستان ،

في منحدر من الارض يكاد يكون مهوى ،
دبجته يد الانسان — يد الفلاح الجبار —
فاستوى ، في تلك القفرة ،
واحة غناء ،
فيها من كل فاكهة زوجان !
اذا توسدت الارض في ظله الظليل ،
وتطلعت ذات اليمين وذات الشمال ،
لأحسست انك متحد بالارض اتحاداً قوياً ،
ويشملك جمال ما حولك وجمال الآفاق ،
شمولا كلياً .....
حتى لتحسب نفسك في مركب من الجمالات ،
ومركب من الخضرة والنور والطيور .
في طرف من البحر ،
وفي الآخر السهل والاكم والجبل ،
الجبل والاحراج والوديان ،
والحقول والمروج ،
وكل انواع الابسطة ،
من صخر ونبات ؛
وكل ما ترتاح اليه النفس والعين ،
في عالم الطبيعة البهيج ....
بعيداً ، الى يمينك ، مكان الارز
والفجوة المقدسة قاديشا ،
نهر مفتوح في وجه السماء ،
وامامك «سير» وجناتها ،
وتنحدر قريباً فاذ البحر .

وكورة الذهب والزيتون ؛
على اكتافه ،
جانح عظيم لهذ النسر العظيم .
والى شمالك لوحات صغيرة ،
من الارض البيضاء ، والسمراء ،
هنا القمح يودع بطن الارض الى العراء والشمس ،
وهنالك تربة خرجت بالامس من الليل الى النور ،
والكروم والاشجار تعيش بالأمل والحنين ،
اخلقت كل هذه الالواح للصمت والسكون ؟
لا توحي شيئاً ولا تقول شيئاً ؟
ام انها لمتعة الانسان ، يشبع منها ناظريه
في لحظة سريعة ؟
ام ان في جمالها ،
دعوة الى كل ضمير مصطخب ،
متردد بين الخير والشر ،
بأن يشترك في مأدبة هذا الجمال ؛
وان يملأ نفسه بطمأنينته وهنائه ،
وان يدع الخطيئة لمن لا يدركون ؟
ان في الارض الف اذن لتسمع ،
وعين لترى ،
والف فم للنطق ...
ان الارض تقول له ، في منظرها البديع ،
وحياتها المتجددة ،
وقلبها النابت ربيعاً وبراعم وزهور :
لا تقتل السمة !

انها حلية من حلاي ،
ولؤلؤة من لآلئي .
فان بيني وبين كل شيء موجود ،
رابطة ومحبة .
كما ان بينكم ، يابني الانسان ، وبين بنيكم ،
عواطف واواصر وروابط ...
ان الفلاح الذي لا يفهم الا ان السنّة
ذات لحم لذيذ ،
لا يرتكب اثماً اذا ازدردها ،
لان قانوني يختلف عن قوانينكم .
انتم تدينون كل الناس ،
لانكم تفرضون على الجاهل والغافل ،
والحكيم والعالم ،
بدرجة واحدة ونسبة واحدة ،
معرفة قوانينكم وشرائعكم .
اما انا فلا ادين الا العارفين ،
—وانت منهم—
فاذا قتلت ،
فانتظر العقاب ! ....

وعاد الى القراءة ،
وكان رفيقه الآخر كتاب زرادشت ،
للفيلسوف نيتشه .
زرادشت كتاب الاعاجي والرموز والصور ،
وراء السدول والظلال .

وكان قد اعاد الكرة عليه مراراً،
وفي كل مرة يصدف معنى جديدا وفكراً جديدا.
كأنما كتب نيتشه كتابه لرجل يعيش الف عام،
ليقرأه كل عام مرة ....
ويفهمه أخيراً بمنظاره لا بمنظار المؤلف ...
ونيتشه عنيف، حيث تفهم،
وحيث لا تفهم،
ولكنه عنيف حتى تعتقده دون قلب،
ولا رحمة!
لانه لا يعترف بالحياة الا للاقوياء،
اما الضعفاء وكل ما ليس قوياً،
فهو جسر يعبر عليه الاقوياء الى التسلط!
فالرجل يسن القتل قانوناً،
وليس للامر عنده من ثمن،
اذا كان يريقه في ما بينهم الاقوياء،
فالحرب شيء مقدس،
ويطبق الشاعر الكتاب متحمساً
ضد نفسه،
ووجدانه.
فاذا كان فيلسوف له شهرة عالمية،
يسن قتل الانسان قانونا،
ولا يعترف بحق الا للقوة.
فأي شأن لسُنّة،
وأي شأن للضمير؟
بل ان من له ضمير يكون ضعيفاً،

وعلى القوي ان يلي نداء قوته ،
فاذا لم يلب ،
كان مريضاً ،
واستحق الفناء !
فالشاعر لا يستحق الفناء بنظر نفسه ،
لانه قوي .
وقد يعتقد انه هو الرجل الامثل ،
الذي عناه زارا ،
فلماذا لا يصطاد ؟
ولماذا يكلف نفسه عناء التفكير ،
في امر سمنة ،
هذا الطائر الذي خلق ليكون طريدة
للصياد الماهر ؟

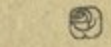

ويسير ،
واذا سمنة تفر ،
فيلحقها ،
ويمعن في لحاقها ،
وقد تفجر حقده القديم ،
وعاد عدواً لدودا ،
واستفاقت طبيعة الوحش فيه ،
ومات الانسان ! ...

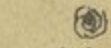

واخذ يركض ، ويدب ،
ويتوارى ،

ويخادع ،
الى ان استوت الطريدة ،تعبة ،
عود تينة عارية ،
وهو في مختبأ لا تراه .....
واطلق عليها النار ،
تدوي به القيعان مرة أخرى ،
وذهب ينقب بين الزرع .....
لعلها وقعت !
وكانت قد وقعت بالفعل ،
وتحطم جانحها ورجلها ،
وسمع باذنيه صوت السنة وقد اصبح عويلا ،
« ومسكها » وقد جرت متسارعة ،
متشابكة ،
كصوت المعزف وقد انهالت عليه الاصابع
من كل صوب .
واقفر الجو من كل طائر ،
الا من رائحة البارود ،
ودخان الجريمة !
وزجف قلب الطبيعة وقد عرته هزة خرساء !
واما الشاعر الظافر ،
فيجد في التقاط الجريح ،
وقد بقيت له قوة على المقاومة ،
يفر من مرتفع الى منخفض ،
الى ان بلغ الحقد ذروته !
وكاد الشاعر ان يدحرج على طريدته صخراً ،

فيدهسها شر دهس !
وهم بها ، وقد استوقفها الوهن ،
لكثرة ما نزف من دمائها .
فصوبت اليه منقاراً جارحاً ،
وعينين تائهتين بين الضعف والقوة ،
لان ما من بعوضة الا وتدافع عن نفسها .....
بكل ما فيها من ضعف قوي .
والسنة بين التأهب للعراك وبين الاستنجاد
وهي تختلج ،
ولكنها تفر ، وتنقر لعلها تصيب القاتل ،
الى ان ضيق عليها الدائرة ،
واصبحت بين يديه .
— وقد شدد عليها الخناق —
تنتظر القدر المحتوم ! .
وكأني باليأس عقد لسانها ،
فاصبحت تعول بعينيها ،
ولا تسترحم ! ..
لانها الابية الانوف ،
وقد شعرت ان آخر سلاح بيدها ،
هو الانفة ،
واللا مبالاة بالقدر .
فليست اول طريدة ولا آخر طريدة ،
فلماذا التخاذل ،
والهوان ،
والاسترحام !

الذبيحة

واخذها الشاعر بين يديه ،
— وهو اضعف ما يكون شاعراً —
وقد قرر ان يذبحها ،
لئلا تعود الى الفرار
— كان الفرار حق من حقوقه وحده —
وهو بالنسبة للسنّة من الجبابرة ،
واستل السكينة بعد ان استل الضحية ،
من غفلة المذعور .
واخذ رأسها بين اصبعيه ،
وشد على عنقها ،
ووضع السكينة في مكان النفس ،
وهم بها ....
فأفاقت غرائزه الطيبة من عميق كيانه الراقد
وشعر بقلبه كأنما ينهال عليه ضرباً وسبابا ،
وثاب الشاعر الى رشاده ،
من اعماق وحشيته ،
وتجددت اسطورة ابيه ابراهيم ! ..

وتذكر جبران في نبيّه ،
وجبران اقرب ما يكون الى قلبه ،
فهو ابن البلد القريب من بلده ،
وهو شاعر الاحساس والرحمة والمحبة ،
الذي يلعن شريعة الدم ،
ويقدس شريعة الحياة
وشريعة العطاء ،
فلماذا لا يهب السمّنة حياتها؟
وعوضاً عن ان يذبحها ،
يضمد جروحها ،
ويردها الى الفضاء الحر ،
تنعمُ بالربيع والظلال والندى ؟ ..
ويقلبه قلبه مرة اخرى ،
ويردها الى جيبه ،
ويمضي الى القرية
وهو بين ان يكون جذلان وبين ان يكون عابساً ،
لكثرة ما حمل قلبه من اخذ ورد ،
وكثرة ما حمل مسيره الواهي ،
من وصب وتعب ! ...
وفي الطريق تفر السمّنة مرة اخرى ....
فانتفض الصياد انتفاضة غيظ ،
وكأنما تدعوه السمّنة الى الجريمة .
فأخذ السكين مصمماً تصميماً
لا فكر فيه ولا هدى ولا وعي .....
وحز على عنقها ،

وهي تصيح مختنقة .
وهو يذبح .. ويذبح ،
والسكين بطيئة ، سقيمة !
وهو يذبح ، وقد ادار رأسه الى الوراء
ورمى الطريدة ارضاً ،
وتنفس الصعداء ،
ودخل الطائر في صمت المجهول ...
والراحة الكبرى

والشاعر يشيح عنه بوجهه ،
وكأن دم السكينة انصب في عينيه ،
وكأني بتلك الارض المنفردة ،
اقامت للطائر الحبيب مأتماً ،
وتجمعت في اذن القاتل ،
موسيقى لعتاب وتأنيب .
وكلما مرت برهة قصيرة ،
ونوى ان يمد يده الى ذبيحته ،
تجدد المشهد .
وقام من الحفة ومن حولها مثل الشياطين .
ودوى المكان باصداء قاتمة ،
فيرتد الى الوراء مذعوراً !
واخيراً حملها وهرول ،
الى حيث يرى الناس ،
ونسى الاشباح
... وكان الجوع قد اخذ منه مأخذه ،

وأنسته وجوه اصدقائه الأمناء ،
ووجوه ولده
كل مخاوفه ووساوسه ،
فنتف الريش عن طريدته ،
كأنما يأتي امراً عادياً ،
وشواها !
وتناول كاساً من الخمر المعتق ،
وخبز القرية اللبنانية الرقيق ،
والزيتون الجديد ،
واقام لنفسه وليمة شهية .
ولكنه لم يكن ليقضم عظام السمّنة ،
دون ان يشعر بوخز عظامها ،
على لسانه ،
وبشيء من الخوف ان تنتقم منه الطبيعة ،
وتثأر لنفسها ،
فتعلق « حسكة » صغيرة في موضع نفسه
وكما خنق السمّنة اللطيفة ،
وابعدها الى الابد عن اترابها والحقول ،
تخنقه ،
فيموت !
ولا يستفيد من لحمه انسان ،
اللهم الا بعض الديدان ! ...
او بعض الغربان ... !

الشاعر والاله

.. وعاد الى العراء ، يختفي عن الاعين ،
يلجأ الى ظل شجرة ،
ينام في حراستها ،
ويستريح ....
ولكن هل يستريح الجناة ؟
وهل تسكت الارض الملطخة بالدماء ،
من دماء ابنائها ،
سواء كانوا طيوراً او كانوا من بني الانسان؟
فان الشاعر لم يكد يغمض عينيه ،
حتى دقت ساعة الحساب ، وكان عسيرا ،
وافاقت الارواح تحترب في داخله ،
كأنما انتقل من هذا العالم ،
الى يوم الدينونة ،
في طرفة عين .

واذا بشبح ينسلخ بين تلك الارواح ،
وينتصب في وجهه ،

شبحاً كالذي كانت تحترق به عوسجة موسى ،
ولا يحترق بالحقيقه الا خياله ،
شبحاً من اعماق الاعماق ،
هو الله ...!
الله الذي لن يكون الا ضميرا ...
يخاطبه بلغة الشعراء ، هؤلاء الاطفال الملهمين :
في الصباح كنت تمعن في عتابي ،
وتعتقد اني لم أنصفك بين المخلوقات ،
ولكن ما بالك لا تنصف انت ؟
فلا تحترم الا رغائبك ،
لا تعبد الا ذاتك ،
ولا تقدس الحياة الا في نفسك ،
فقد كنت تجد وراء السمنة ، دون هوادة ،
فكنت شوكة تدمي قدميك ،
وكنت خطراً عليك في المنحدارت والمهاوي ،
وكنت زيتونة قناديك ،
وكنت خوفاً يرافقك ،
وكنت الحمية الدافعة ،
في جدالك الداخلي ، وقد كنت انا احد طرفيه ،
فلم تأبه لي في شيء من الاشياء ،
فقد كانت تخدرك فكرة القتل ،
كأنما لم يعد فيك الى الشعر حتى الحنين ،
ولم يعد فيك الى الانسانية اي نسب ،
فكنت شر من اي مجرم سفاك اثيم ،
كأنما خلقت في صبيحة هذا النهار جانيا ،

وقاتلا!
وفقدت شعورك بشخصيتك ومقوماتها ،
فالظلال تدعوك الى الرقاد ،
والوادي يهمس في معطسيك الرطوبة ،
والنبع يوشوش السكينة بلغة الحصى البيضاء ،
كأنما يسر اليك انت : ان تعال الى مائي ،
وهوائي ،
وانت مهووس مصمم ، ترزح تحت كابوس عنادك ،
كمن يسير الى ثأر ، هيأ وسائله ،
وصمم على ارتكابه ،
بل كأنك مجرم عادي ،
ينفذ جريمته في اول بري ، يقع تحت مخالبه ،
لا ترضى عن القتل بديلا ولو كان الجنة .
فقد اخذك بين فكيه ،
وانت لا تستطيع ،
وان استطعت فلا تريد ... الانفلات!.
لو لسعتك افعى وانت تطارد افعاك ،
— اذ حولت السنة الى افعى في نفسك —
او زلقت في الهوة السحيقة ،
لارتفعت الي من حنجرتك التجاديف ،
ولاستحلت الى أبالسة تسب الآلهة .
اما ان تكون انت اداة الموت ،
يولول مستغيثا مسترحما ،
فذلك من الهينات ،
لانه من صنعك انت ،

لا من صنع الاله ! ...
وانت تحلل لنفسك كل شيء ،
اذا كان بيدك الناموس ،
وانت صاحب النهي والامر .
تقول لهذا ذنبا فيكون ذنبا ،
ولهذا حقا فيكون حقاً .
بل انك في كل ظرف مؤات
يلذ لك ان تنسى كل إله ،
وان تخلق لك كوناً تسيطر عليه ،
وتقيم نفسك آلها .
كأنما الالوهية كرة للعب ،
لو سطر تمحوه ساعة تشاء ! ...
انك لعلى ضلال مبين ! ...

لو جاء صياد فاصطاد ولداً من اولادك ،
اذا اعتدى معتدٍ على زوجك ،
فذبح الاول وضحى بالثانية .
اي صوت يرتفع من الدمع المسفوح
من عينيك الى اذنيك ؟
اتصورت ان للمسنة زوجاً واولادا ،
وان صوت امها يملأ الآن الآفاق
ليصل الى آذان الاحياء ،
نقمة عليك !

ما نفع اناشيدك اذا كانت من مجرد الفاظ ،
موسيقية جوفاء ؟

ان للطبول موسيقاها .
وما نفع الواحك اذا كانت ملهى للنظر ؟
بل ما نفعك انت اذا كنت لتأليه ذاتك؟
ان اجمل قصيدة نظمتها كانت احجامك عن ذبح السمنة ،
لان القصيدة الجميلة هي العمل المادي الرائع!
الذي يقدم قربانا في مادبة الحياة
من ابنائها البررة ،
ويغنون عندئذٍ الاناشيد فتأتي مسحورة حيّة .
ويرسلون الالواح فلا تكون
مجرد الوان وخطوط وظلال ،
بل تؤدي الى الحياة رسالة الجمال الخالد ،
وقد صدرت عن روح جميلة ويد جميلة ،
ولسان جميل .
لقد قال عنك محمد : الشعراء يتبعهم الغاوون ،
يقولون ما لا يفعلون !
وقال عنك نيتشه وافلاطون الشعراء يكذبون .
انهم لصادقون اذا كنت خشبة ،
اذا كنت آلة لا جمال فيها ولا فائدة ،
او آلة جميلة محشوّة بالبغضاء والقساوة !
اذا ارتفعت الى مرتبة النبوة ،
وتجليت على جبل الالم ،
وقتلت طبيعة الشرّ في طبعك
وتعريت من وجودك الكاذب ،
وتوشحت بالوجود الاسمى ،
واصبح قلبك اماً لكل الكائنات وأبا .

وكنت حمامة ترف الوداعة ،
وجدولا يجري الشعور الرحيم ،
وسنبلة تغدق السخاء والبركة ...
وعفت يدك عن القتل ،
إلا قتل الشر في الاشرار .
وكنت قولا وعملا قصيدة الحب ،
والتسامي الروحي الى مراقي الآلهة ،
بانصهار روحك فيها ،
والشوق الدائم الى صنع الحياة ،
وتجديدها وتمجيدها .
عندئذ تكون الانسان الامثل ،
الانسان الذي اردته ،
والشاعر الذي طوقنا جيده بالمجاملات ،
وارسلته روحاً ورحمة للعالمين ،
فاناديك :
انت ولدي الذي به سررت !

وافاق الشاعر كأنما كان يحلم حلماً ،
وجلس يتطلع الى الريش المنثور حواليه ،
وهو كأنما يراه بالذكرى .
وكالخاطىء الذي تذوق لذة الخطيئة ،
فانقلبت اللذة فيه الى قوة وعناد .
اعاد التحديق الى ذاته ووجدانه ،
وخاطب الصوت الذي كان يخاطبه
أجرعة ان اذبح السئمة والسأم

يملأ الهضاب ؟
وجريمة ان احلل لنفسي لحم الطير ،
وهو مباح لكل صقر ولكل باشق ،
انا المحروم من كل شيء ؟
كأنما الآلهة لي وحدي في غضبها ،
وعقابها ،
والاخرين في ثوابها ،
وهم لا يشعرون بها أي شعور ،
الا اذا مرت على السنتهم في بعض التمتمات والصلوات ،
وكانت اللانابة عن خطيئة او للتكفير عن جرم !
أأكون وحدي المسؤول عن التعمير والبنيان ،
وغيري يهدم الارض والسماء ولا يسأل ؟
ويقف الانسان كل هبات الله في جسمه وعقله ،
وهنا يتجسد الشبح وينتصب حتى لتحسبه من لحم ودم ،
في يديه لهبة لها لسان وتنطلق الكلمات من فمه كالاسهم النارية :
اما شريعة الله الحقه ، الشريعة التي ارسلتك لتقيمها في امتك
وفي كل دنيا ومكان فانك حنثت بها ،
فاعلم ان بذرة الحياة في كل شيء حي يجب ان تنمو وتتكاثر ،
لان الحياة هي الشريعة الاولى والاخيرة
والاله الاول والازلي ،
الاله السرمدي الذي كان قبلي
وقبلك وقبل الانبياء .
وما الناس والكائنات المتحركة
والجامدة الا آلات لتنفيذ
شرائع هذا الاله وشيء من وجدانه

الشامل الذي يمتزج بها حتى لتجده في كل منها ،
فاذا غلبت عليهم غرائز الشر
فلانهم لا يحسون حتى الاله المتحرك فيهم ،
لانهم ليسوا شعراء !

فاذا اردت ان تنحدر اليهم ،
اذا اردت ان يهوي بك عرشك
وهو في متنزه النجوم والانوار ،
فتجاهل قيمة الحياة ،
ورسالتك ... ونفسك ،
وعد انت الآخر مزيجاً طبيعياً !
من الخير والشر !
تارة ترتفع الى السماء وطوراً تهبط الى الجحيم
انك عندئذ لبشر سوى ، بل بشر منحط عن الانسانية
ليس من فارق بينك وبين الناس العاديين !
اما اذا كنت تريد تأدية الرسالة ،
فلا تتأرجح بين الخير والشر !
وكن الخير بكل قواك وكل ارادتك
وكل حواسك !
واذا كنت شراً ،
فكن شراً على الشر ! ...
كن اللهاث المشفق على السفينة المجلدة !
وكن الرحمة لكل ما هب ودب !
وكن قوة الابداع والخلق !

انك رحمة ومحبة وابداع
ايها الشاعر !
والمحبة والرحمة والابداع قيثارتك
والحانك واوتارك .. ووجدانك !

توبة الشاعر

انا الان سجين ،
واني في سجن نفسي وجرائري !
اني اكفر عن ذنوبي ،
كما كفر كل شاعر عن ذنوبه ،
في كل زمان ومكان .
وادى ضرائب الحياة ، عليه من الالم والشقاء ،
في كل ارض وتاريخ ،
وها انا في صميم آلامي ،
وفي اعماق تأملاتي ،
اتوب اليك ايها الضمير ،
ايها الاله المتحرك في كياني ...
لقد غلبت الوحش في غرائزي ،
وعار على الشاعر ان يغلب الوحش فيه الاله
وان مرة واحدة !
لقد اعطيتني حقاً اسأت استعماله ،
وحرية جعلت منها حربة ،

واسلمتني رسالة وفتحت عيني عليها ووجداني
فاهملت تأديتها ،
في دنيا الطبيعة ، والجمال .
فاذا عفوت عني ،
وارجعتني الى الطمأنينة والحقول ،
فلن اكون شراً على احد ،
الا على الذين يحتقرون الحياة ،
اينما وجدت واينما وجدوا ،
حتى في السمنة والنحلة ،
والاعشاب النابتة على حافتي السبيل !
وسأعود اليك ،
بل اني قد رجعت منذ الان ،
الى احضانك ،
شاعراً على عرشه المتألق ،
وفي يده المصباح ،
المصباح ليضيء ظلمة نفسي وطريق العميان
وليكون هداية بعد ان كان كفرانا ،
كاملاً على قدر ما يبلغ الانسان الكمال ،
بعد ان كان يتأرجح بين الانسان والحيوان!
اما السمنة التي قتلتها ،
فقد قتلت الشر في نفسي .
فهذر عملي ، يارب ، لانه كان سبيلاً للخير !

الخاتمة

فخاطب الآله الشاعر :

لقد رجعت الان شاعراً ،

لقد بلغت مرج النبوة !

اني اتلمس فيك ذاتي ،

وستلمسني في ذاتك ،

وسترى انك منذ ان عرفتني وعرفتك ،

القوة المبدعة ،

القوة الهادية ،

القوة الجميلة !

انك سائر في طريق السيادة ،

سيادة العالم باجمعه ،

انك الحاكم السائر الى كرسي الحكم ،

والشارع القابض على قلمه ،

ليشرع قانون الكون ،

والانسان الامثل ،

والقاضي العادل ،..

اذا استوقفك مقتل سمنه ،

في رحلة صيد ،
وحاسبت غرائزك حساباً طويلاً عسيرا ،
فاني مؤمن بك ،
مؤمن انك لن تظلم ،
وستحترم حقوق الآخرين ،
تحس باحساس شعبك ،
فتدرك حاجاته وآلامه .
وتقدس حياة اولئك الضاربين في الريف ،
الذين ينبتون الحياة ،
فلا تنبت لهم الا الاعواز !
ولا يعرفون الا عند الحاجة اليهم .
وتكون اعمالك قصيدة طويلة ،
اوزانها وقوافيها ومعانيها
من الخير والبركات والعدالة والانسانية .
ان فلاسفة افلاطون يحكمون المدينة بالعقل
واما انتم الشعراء ، فبالقلب .
وفي كل قلب عقل كبير ،
وفي كل عقل قلب صغير .
ايها الشعراء !
ان العالم ملك لكم ،
فاحكموا الارض والسماء ! ....

●

وضعت في معتقل الميه وميه
١٩٤٣

حلاوة الفراق

في العراق

« واشرفنا على محطة بغداد لنقضي فيهـا يوماً او بعض يوم ، نودع الاصحاب والخـلان الذين أنسونا مرارة الفراق، فراق لبنان العزيز ، وجعلونا نشعر ان للفراق احياناً حلاوة دسمة ، وان :

حلاوة الفراق

في العراق »

حلاوة الفراق

في العراق

الكتاب الرابع من سلسلة « المجاني »

وهو كتاب رحلة الى العراق ، فيه دراسة المشاهدات وخواطر حول المؤسسات والشخصيات الحكومية وغير الحكومية .

فيه روعة في الاسلوب وعمق في التحليل ، وتعريف لقطر شقيق يهمنا أمر تقدمه كما يهمه تفوقنا ورقينا .

هو فوز في أدب « الرحلة » لمؤلفه :

الاستاذ عبدالحليم اللادقي
سكرتير محافظ بيروت

كتاب شهر يوليو في سلسلة « المجاني »

ابن زيكار

رواية فريدة في نوعها !

تمتزج فيها الحقائق التاريخيـة بأغرب الحوادث وأعنف الازمات النفسية ، وتكشف النقاب عن ناحية مطموسة من عظمة صور « ملكة البحار » وأمجاد الصوريين ، أسياد الحضارة والعمران في العالم القديم !

فيها بطولة وحب وتضحية ووطنية ومثالية ودرس مستوف لعادات الفنيقيين في صور وقرطاضة ، وتقاليدهم الدينيـة واتساع مدنيتهم المشعة والأسس التي قامت عليها دولهم الجبارة .

مستقاة من أصدق المصادر القديمة والحديثة ، والمستندات الاثرية الجديدة التي تكشف عن وجه التاريخ القديم الحقيقي .

تتناول فصولها باسهاب الفتح المقدوني ، وحصار صور حيث ادهش الصوريون العالم بما أبدوه من وطنية لا تلين ، ومن ضروب الجرأة والشجاعة والاقدام والثبات العجيب في وجه الطفرة المقدونية التي اهتز لها العالم .

من يقرأ « ابن زيكار » يجد اللذة والفائدة تماشيان الفن الروائي الجذاب والتحليل البصير في أقدم الحوادث واكثرها غموضا .

هي فتح جديد رائع في عالم الرواية التاريخية .

اقرأ ابن زيكار !

تر الستار يرتفـع عن أجيال من عمر هذه البلاد حافلة بالمفاخر والعز والمدنية الباذخة العمران !

ابن زيكار

الكتاب الخامس من سلسلة — المجـاني —

A.U.B. LIBRARY

A.U.B. LIBRARY

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
00486781